****

مسقط كما شهدها روتشنبرغر

**(دراسة نقدية وتحليلية)**

**مدخل إلى الموضوع:**

الحمد لله الذي جعل الأرض مبتلى، والصلاة على النبي الذي أشار ما حلَّ وابتغى، والرضوان على آله وصحبه الذين اتبعوه خطى فبلغوا الناس هدى، أما بعد:

فالرحلة منذ قديم الزمان قد احتوت على ما احتوت عليه من الوفادة والتجارة وإعلاء كلمة الله، وقد ذُكِرَ كل من هذه الأهداف في كتاب الله العزيز، الذي هو خير مصدر للعلم عن الماضي والفعاليات فيه؛ فقد كان الناس من أقصى العالم إلى أقصاه يسافرون تارة للوفادة، وأخرى للتجارة، وثالثة لتبليغ الدين الإلهي، والأخير هو الذي سبب الهجرة إلى البلاد الأجنبية.

ولو أمعنا النظر في هذه الأهداف لوجدنا الهدف الثاني (التجارة) على رأس هذه الأهداف الثلاثة؛ فقد قال تعالى في كتابه العزيز: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ \* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ \* فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ \* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش: 1 - 4].

ومن خلال هذه الأهداف الثلاثة الأساسية، وجد الرحَّالون الفرصة لضبط ما شهدوه من عادات أهالي البلاد المزورة، ومعروفهم ومنكَرهم، وما تميزت به من المباني والمعالم، وما والاها، كما ضبطوا ما عثروا عليه من المعلومات البدائية عنهم، والغريبة فيهم، وكذا المختلفة عما لديهم، فكأن رحلاتهم هذه مذكرة لمن أحب أن يزور تلك البلاد فيتعرف عليها، ويبتغي ما قدر له فيها، ويتذكر ربه إذا وفق له.

والسير و. س. و. روتشنبرغر (W. S. W. Ruschenberger) من الرحالة الذين زاروا بلد عمان، ونزلوا بعاصمتها مسقط، لا لأجل الاعتبار بما كانت تمتلكه عمان وعاصمتها مسقط، بل لعقد اتفاقية تجارية بين حكومته وسلطنة عمان، ولكن من حسن الحظ أنه لم يؤدِّ واجبه الرسمي هذا فحسب، بل قام بضبط ما شهده من أهالي عمان، ومعالمها، وما اتصفوا به من العادات والأخلاق، كما أشار إلى ما اختلف فيها من العادات والمتبعات مما كان لديه في بلاده، بجانب توجيه النقد الشديد إلى ما اغترب لديه مما رآه من العادات والتقاليد المتبعة من قبلهم، ورغم أن هذه المعلومات كلها مبعثرة في طيات رحلته، فإنه ليس بصعب على الباحث أن يلم ما تشتت منها، فيسلكها في عقد جميل جذاب، كما ليس بمشكل على من له أدنى إلمام بعمان ومبادئ الدين الإسلامي أن يشير إلى ما جانَب هذا الرحالة من الصواب في فهم أو نقل ما اتصف به أهالي عمان، أو ما تميز به الدين القيم الإسلام.

وقد حاولت في دراستي الوجيزة هذه أن أجمع ما تشتت في هذه الرحلة من المعلومات عن عمان، لا سيما عن مسقط، وأهاليها، وتجارتها، وعموم الأمن فيها، كما أنتقد ما لم يُصِبْ فيه روتشنبرغر من فهم الأشياء عن هذا البلد، وخاصة عن عاصمته، أو عن الدين القيم المتبع في هذه الدولة.

ولأجل هذا وذلك، فقد قسمتُ دراستي هذه إلى خمسة مباحث، فبعد القيام بمسحة عامة عن الرحلة ذكرت في المبحث الأول موقع مسقط، وسكانها، وما يتعلق بهما من التفاصيل، ثم في المبحث الثاني تناولت المجتمع العماني، وهو المجتمع العربي أصلًا، فأولًا ذكرت العرب وميزاتهم كما وصفه روتشنبرغر، ثم فصلت عن طريقة الزواج والطلاق فيهم، ثم بينت التزامهم بالواجبات الدينية، الأمر الذي حيَّر الرحالة الإنكليزي، وختمتُ هذا المبحث بحالة التعليم فيهم؛ فإن العلم يفتح للمرء بابًا لمعرفته، كما يمهد له السبيل إلى معرفة ربه تعالى، والمبحث الثالث عن رواج التجارة في مسقط، فأولًا أشرت إلى العلاقات التجارية بين مسقط والبلاد الأخرى، ثم أحصيتُ البضائع الصادرة والواردة فيها، كما فصلت عن أسواق مسقط ورواجها في ضوء ما وفَّره لنا روتشنبرغر من المعلومات، والمبحث الرابع يتعلَّق بنُظم الدولة وقوتها، فذكرت، أولًا، سلطان مسقط، وقدمت التفاصيل التي وفرها روتشنبرغر عن شخصه وأخلاقه، ثم ذكرت القوة البحرية التي تعينه في إقامة الأمن لرواج تجارتها، وأنهيت هذا المبحث على ذكر المحكمة، وعموم العدل فيها؛ فالعدل هو الذي يعين الدولة في سيرها سيرًا آمنًا، والمبحث الخامس الأخير يتعلق بما وجهه روتشنبرغر من انتقادات وانطباعات عن مسقط وأهاليها، فقد أصاب روتشنبرغر في بعض انتقاداته، كما جانَبه الصواب في العديد منها، قمتُ بدراسة نقدية لهذه الانطباعات والانتقادات، وبهذا انتهت هذه الدراسة الموضوعية.

**مسحة عامة عن الرحلة**

هذه الرحلة تسمى بـ: "A Voyage round the World"، وقام بكتابتها و. س. و. روتشنبرغر (W. S. W. Ruschenberger) الذي زارها خلال عام 1835م ممثلًا لحكومة الولايات المتحدة، زار روتشنبرغر مما زاره من البلاد عمان وعاصمتها مسقط، ونظرًا لهذا فإنها ليست برحلة مستقلة كما قام بها الرحالون المسلمون، أو يقوم بها الرحالون اليوم، بل إنها مثل مذكرات يعتاد كتابتَها الرجالُ الكبار، كما يقوم بها الصغار في بعض الأحيان.

تبتدئ هذه الرحلة بإشارة إلى كتابة الإهداء إلى صديق للكاتب، أعانه في سير الأرض، وهو Sauel George Morton, M.D، سكرتير مراسل لأكاديمية العلوم الطبيعية، ثم تأتي مقدمة ذكر فيها الكاتب السبب وراء سيره هذا، واسم الباخرة التي ركبها، وهي Peacock، التي قادها C. K. Stribling بالمرافقة لـA. S. Campbel، ومشتملاتِ الرحلة، ومصادرَها، وحالةَ الرحلة، ونفعَها للناس، وأن الكاتب اتخذ جانب الموضوعية في الكتابة، والبلاد التي زارها، ثم يأتي العنوان "Sketches in the Dominions of the Sultan of Muscat"، وهو الباب الرابع كما ذكر، وكتب تحته العنوان: "Voyage from Zanzibar to Muscat"، الذي يشمل قصة رحلته من زنجبار إلى مسقط، التي بدأت صباح الثامن من شهر سبتمبر، ومن الصفحة 62 يأتي ذكر رؤية مسقط وجوها، فيذكر فيه الكاتب خليج مسقط الصغير، الذي رآه في التاسع والعشرين من سبتمبر، وبعدما دخل الكاتب مسقط هُدِيَ إلى سلطانها، الذي وعدهم بكل معونة يمكن توفيرها من قِبَله؛ وذلك لأن السلطان كان ظهيرًا لحكومة الإنكليز إلى حد بعيد، ويدل عليه ما وجهه إليهم من أنواع المعونة العسكرية والمادية، التي شكره عليها المسؤول الإنكليزي بهذه الكلمات التالية:

“My country can never forget the numerous acts of kindness received at your Highness’ hands, and which were marked by a promptness which deserves the just admiration of the world”[[1]](#footnote-1).

ترجمة: إن بلادي لن تنسى العديد من نماذج العناية والتكريم التي حظي بها رجالنا على أيديكم أيها السلطان الجليل! إن هذه المعونات الحاضرة تستحق الإعجابَ والتقدير من قِبَل العالمين.

ومثل هذه الكلمات للشكر قدمها الرحالة ذاته؛ فهو يقول:

“Every sort of aid which could be devised was proffered and insisted on; not only by His Highness, but also by his two sons ---”[[2]](#footnote-2).

ترجمة: وقد قُدِّمَ إلينا كل نوع ممكن من المعونة، لا من قِبل السلطان فحسب، بل من قِبَل ولديه كذلك ---.

ثم يذكر موقع مسقط وجوها وميناءها، وقلاعها العديدة، والتجارة فيها، وكذلك تفاصيل عن السلطان وديوانه، وكيف رحب بهم السلطان وقدَّم إليهم أجمل صورة للتكريم، ومن ثم يأتي ذكر حواشي السلطان، وهكذا يذكر منزلة السلطان لدى أهالي مسقط، ثم يذكر مدينة مسقط، ويصور أسواقها، ثم تقاليد النسوة بما فيها الزواج، وأسلوب العيش، والحلوى، وحليهن، ثم يذكر مجلس السلطان، ومأدبته، وممتلكاته، وتجارة مسقط، وتاريخ تلقيب السلطان بالإمام، وأخلاق السلطان والعرب، بما فيها ذكر عبادتهم، والتزامهم بها، وكذا يذكر التعليم، وتنتهي الرحلة بمختلف الرسائل للشكر، واتفاقية التجارة.

من خلال هذه العناوين قام السائح الإنكليزي بتقديم معلومات عديدة نافعة عن العرب عامة، وعن مسقط خاصة، وبما أن الإحاطة بكل منها صعب للغاية، فنود أن نذكرها تحت عناوين خاصة؛ لكي يسهل ضبطها وفهمها معًا.

**المبحث الأول: مسقط، موقعها وسكانها**

ولنعلم مرة أخرى أن الرحالة الإنكليزي لم يُرِد تقديم البحث المشبع عن مسقط وما والاها، فما قدمه من المعلومات إنما هو مما شهده بالصدفة، أو خطر بباله خلال الزيارة، فأول ما رآه السائح هو القلعة المنيعة مع العديد من الأبراج فيها، ومن ثم دخل الخليج الصغير الذي هو محاط بالصخور، والمدينة هي مثل الزاوية الصخرية، وبها قصر السلطان ودار الضرائب، إن مسقط تبدو أسخن مكان في العالم؛ لأجل كثافة سكانها؛ فعداد الحرارة يتراوح ما بين 90 و115 حتى خلال شهري يناير وفبراير، وأما في شهري يونيو ويوليو فلا تقدر غاية العداد، ويشرف ميناء مسقط على جزيرة صغيرة، وفي المدينة قلاع عدة، بنى معظمَها البرتغاليون؛ للدفاع عن أي هجوم مفاجئ، ووجودُ الباخرات والمراكب بالميناء يدل على أن مسقط مركز كبير للتجارة حتى الآن، تقع هذه المدينة، كما ذكر السائح، بين درجة عرض 23\*45 شمالًا، ودرجة طول 58\*41 شرقًا، إنها محاطةٌ بالصخور، ومحمية من كل جانب بالجدران الضخمة، إلا أنها لا خندق بها.

كثافتها السكانية أكثر من عشرين ألف نسمة بمن فيهم العرب والبانيان، وقليل من الإيرانيين، ولكن لا يوجد فيها أي أوروبي ولا نصراني، إنها الآن عاصمة عمان التي نعرفها بـ: "Moore".

سيطر عليها البرتغاليون في 1508م، وفي 1650م انتزعها العرب البُسَلاء من أيديهم الظالمة، لم تُبْنَ المدينة بصورة منتظمة، ولا توجد بها مبانٍ فخمة سوى الاثنين أو الثلاثة، ولكل منها سقف مسطح.

أزقتها ضيقة، وهي تضج بالناس في كل وقت، ولا تجد أحدًا منهم بدون خَنجَر أو رمح أو سيف، إلا أنهم لا يحملون هذه الأسلحة لأجل عموم النزاع والقتال فيهم، بل إنها حُلِيٌّ لهم أكثر من أنها آلات للدفاع أو القتال.

وسوق مسقط (Bazaar) التي تحتوي على معظم أجزاء المدينة، تشتمل على الأزقة الكدرة الضيقة، ولها أشكاك، يملكها البانيان، ترتفع عن الأرض قدرَ أقدام الناس، وهي محشوة بقدر كبير من أنواع الأسباب والبضائع.

السجاجيد مفروشة من الشوارع حتى البيوت؛ لكي تمنع الشمس والمطر من إلحاق أي ضرر بالتجار وبضائعهم، ومن العجب العجاب أن كل نوع من البضائع تجدها في دكان واحد، هذه الأشكاك أربابها البانيان، إن هذه السوق مشابهة لسوق الريف؛ حيث تجد كل نوع من الدكاكين في سوق واحدة، فتجد بها محلقي الرؤوس، كما تجد بها عطارًا يجلس بالعقاقير، وبائعًا للغنم في زاوية من زواياها، وهلم جرًّا[[3]](#footnote-3).

وخلال الزيارة وقع نظر السائح على الأكواخ خارج أبواب مسقط، فهو يصورها كما يلي:

“Beyond the city gates, there is a very considerable population, living in huts, constructed of reeds and mats. Here, too, we found two or three coffes of rude character. They may be compared to cages; the walls are made of stout reeds, or split bamboo, lashed together crosswise, and the roofs are thatched with palm leaves. The furniture and fixtures consist of wooden forms for the guests to lounge upon, while they smoke a sort of pipe, called a hubble-bubble in which the smoke is drawn through water, and a stone counter behind which the host is always seen in attendance, either making or dispensing coffee which is served very hot, in small bowls, without cream or sugar”[[4]](#footnote-4).

ترجمة: وهناك جماعة من الناس يسكنون خارج أبواب المدينة في الأكواخ التي صُنعت من القصب والحصير، وقد وجدنا هنا اثنين أو ثلاثة من "الكوف" الخشنة تمكن مقارنتها بالأقفاص، الجدران مصنوعة من القصب السميك، أو القصب المقسم المشتبك بعضها ببعض، والسقوف مغطاة بقش مصنوع من سعف النخيل، وأما الأثاث والتجهيزات فهي مشتملة على المناضد الخشبية للضيوف، التي يجلسون فيها وهم يدخنون الشيشة، التي هي عبارة عن أنبوب يشفط الدخان مرورًا بالماء، وأما المضيفون فهم يكونون من وراء الأريكة الحجرية صانعين أو مقدمين القهوة الساخنة للغاية في فناجين صغيرة بدون الحليب أو السكر.

ويقول في مكان آخر من رحلته:

“The huts are constructed of palm leaves, and are arranged without regard to order. None of them is more than ten feet high, some have round, and some have conical roofs, and all are enclosed in small yards, the fences of which are also of palm leaves”[[5]](#footnote-5).

ترجمة: الأكواخ يتم بناؤها من سعف النخيل، ولا ترتيب لها، وكل منها لا يتجاوز علوها عشرَ أقدام، وسقوف بعض منها مستديرة، بينما البعض الآخر له سقف مخروطي، لكل منها فناء ضيق، وهو محاطٌ بأسوار من سعف النخيل كذلك.

وكذا فإنه تكلم عن المزارع في ضواحيها التي رآها، وهي بدورها تدل على دعم الحكومة لشعبها، فهو يقول:

“In the suburb there are a few scanty gardens, whose existence depends upon irrigation from wells --- The well about Muscat were originally dug at the expense of individuals and by them bequeathed to the public. The Sultan supplies an ox and a slave for each, and those who use the water pay a tax in grain”[[6]](#footnote-6).

ترجمة: وهناك شتى المزارع في ضواحي المدينة، يتم ريُّها بالبئر --- التي يحفِرُها الناس على نفقاتهم، والتي يوصون بها للناس بعد موتهم، ويمنح لهم السلطان ثَورًا وخادمًا، ويتوجب على كل منتفع من المياه دفعُ ضريبة من القمح.

فهذا كما يدل على وجود المزارع في ضواحي المدينة، فكذلك يشير إلى أسباب الري المتوفرة في المدينة، ومساعدة الحكومة فيها، فيبدو من هذا أن الحكومة كانت تدعم الشعب العماني تدعيمًا كبيرًا، وكانت تشجعهم على زرع الأشجار، وتكثير خصوبة المدينة.

ولنتوقف هنا قليلًا لنتحدث عن الحلوى العمانية، التي هي من خصائص هذه البلدة؛ فقد خصَّها السائح بالذكر، وبيَّن طريقة صنعها، وما هي مكوناتها، وفي هذا السياق يقول روتشنبرغر:

“--- in one place they were making ‘holwah’ in great copper pan, in which the materials were stirred with sticks as they boiled by naked Arabs, who were sweating profusely over their toil. Holwah is a very favorite sweetmeat, constituted of sugar, almonds and butter or ghee, properly mingled ---”[[7]](#footnote-7).

ترجمة: وفي مكان وجدتهم صانعين الحلوى في إناء ضخم من النحاس، كانت تحرك فيه المكونات بآلات خشبية، إنها تغلى بأيدي العرب العراة، الذين كانت تسيل عروقهم من جراء عملهم الشاق. تعد الحلوى غذاءً مفضلًا، مصنوعًا من السكَّر، واللوز، والزبدة، أو السمن، وكانت هذه المكونات كلها تُخلَط بشكل صحيح ---.

فالحلوى نوع من الحلويات التي تختص بها هذه البلدة، وهي تصنع من السكر واللوز والزبدة، التي تخلط بآلات خشبية بأسلوب عدل، في صحون من النحاس، بأيدي العرب العراة الذين تسيل العروق من أبدانهم سيلًا شديدًا.

**المبحث الثاني: المجتمع العماني**

**أولًا: العرب: صورهم وميزاتهم:**

وقد تحدث روتشنبرغر مرارًا وتكرارًا عن العرب وميزاتهم خلال حديثه عن الأشياء الأخرى، كما أشار السلطان إلى بعض خصائصهم، فنود أن نخصهم بالذِّكر هنا قبل أن نخوض في الحديث عن شيء آخر.

فالعرَب ينقسمون إلى الحضر والبدو، ولا فرق بينهما إلا في أشياء سنشير إليها، إن لهم قدًّا ورأسًا صغيرين، هم عادة يلبسون الملابس البيضاء، والعمامة[[8]](#footnote-8)، إلا أن عمامة أسرة السلطان تختلف عن عمامة الآخرين هيئة ولونًا[[9]](#footnote-9)، لونهم أسمر، وشبابهم ضامرون[[10]](#footnote-10)، إنهم يشرَبون القهوة[[11]](#footnote-11)، ويعتنون بأنساب إبلِهم وأفراسهم كما يعتنون بأنسابهم هم[[12]](#footnote-12)، إنهم مفطورون على الفخرِ، والسَّخاء، وقلة الكلام[[13]](#footnote-13)، وقد تسلَّل المكرُ فيهم فقام مقام عادتهم للصدق[[14]](#footnote-14).

البدوُ منهم يهيمون هنا وهناك مع خيمتهم، ولا يمتلِك ثريُّهم إلا نخيلًا أو نخيلين، أعينهم فاطنة، وأخلاقهم ذات فظاظة، وهم أجمل نسل وأحسنهم على وجه الأرض[[15]](#footnote-15)، إنهم يعتبرون أنفسهم أحرارًا[[16]](#footnote-16)؛ فلا يكترثون بأي قانون، عادتهم سلب الأموال، وهم أميل إلى القتال منهم إلى الأمن[[17]](#footnote-17)، إنهم لا يعتادون على المفاوضات؛ وذلك لقلة الحضارة فيهم[[18]](#footnote-18)، إنهم ماهرون في استخدام الأسلحة، إن شابًّا منهم يقدر بسيفه على أن يدفع عشرة رجال متسلحين هاجمين عليه من الأمام[[19]](#footnote-19)، وهكذا فنرى أن الأسلحة قد أصبحت مثل الحلي لديهم، فهم أيضًا يحملون الأسلحة للزينة[[20]](#footnote-20).

وأما الإناث فلا تجدهن في الأسواق إلا قليلًا؛ وذلك لأن القرآن قد أمرهن بالقرار في البيوت، وعندما يخرجن يخرجن مقنعات، ولا يبدين وجوههن إلا قليلًا نادرًا؛ ولذا فلم يسَعِ الرحالة أن يبين عنهن بصراحة إلا ما سمع عن الآخرين، فيقول راويًا عن أحد العمانيين:

“Women spend their whole time in perfuming, dressing, and decorating themselves. They are fond of dress, and are generally very expensive creatures. A gentleman’s wife must have at least four Cashmiere shawls, a green, a blue, a red, and a white, then she must have a ruby or a diamond ring for every toe, as well as for every finger, and few wives have not from two to seven thousand dollars’ worth of jewelry to wear on particular occasions. Then they are so jealous. There is no living. Our law allows us four wives, and as many concubines as one pleases; and it is necessary to have some as servants to your wife. For that reason, every gentleman has three or four Circassian or Abyssinian slaves, who soon become as jealous as the wife himself. If they do not enjoy a reasonable share of their master’s attention, which they usually seek with great assiduity, because if they have issue, they are free, for no man is willing that his offspring should be considered slaves, which they must be, if the mother remain in a state of bondage. Indeed, in my own house, they sometimes get into such quarrels, that I am obliged to absent myself for days from the whole of them”[[21]](#footnote-21).

ترجمة: النسوة يقضين أوقاتهن كلها في تعطيرهن، وتلبسهن، وتزيينهن، إنهن مولعات بالملابس، وهن، عادة، أكثر الناس صرفًا للأموال، وتبذيرًا لها، فيتوجب على زوجة رجلٍ من الأعيان أن تمتلك أربع أردية كشميرية؛ إحداها خضراء، وأخراها زرقاء، وثالثتها حمراء، ورابعتها بيضاء، وفوق تلك لا محيص لها من أن تلبس خاتمًا من الجوهرة الأصلية في كل إصبع لها، ولا تجد امرأة إلا وهي تلبس حليًّا مبلغها من ألفي دولار إلى سبعة آلاف دولار بالمناسبات الخاصة، إنهن مفطورات على الحسد، وقوانيننا لا تمنعنا عن الزواج حتى من أربع نساء في وقت واحد، وذلك بجانب من نحب من عدد الإماء، وهذا من اللازم أن تملك لكل زوجتك خادماتٍ، وعلى هذا فكل رجلٍ من الأعيان يملك ثلاثًا أو أربعًا من الإماء الشركسية أو الإثيوبية اللائي يصبحن، بعد فترة قصيرة، حاسدات مثل سيداتهن، فإن لم يتمتعن بعناية سيدهن المعقولة التي يستوجبنها لأجل المحبة بينه وبينهن؛ وذلك لأنه إذا رزقن ولدًا فهن أحرار؛ لأن أحدهم لا يود أن يكون أولاده أرقاء، ولا بد من أن يكونوا أرقاء ما دامت أمهاتهم إماءً، وفي بعض الأحايين يقع الخصام فيما بينهن حتى أجبرَ على أن أترك داري وإياهن لبضعة أيام.

ولعل هذا المقتبس يكفي الباحث تقديرًا للنسوة وظروفهن ومنزلتهن في الدار، ومعاناة الزوج من أنواع المشاكل لأجلهن.

**وثانيًا: طريقة الزواج والطلاق:**

والشيء المهم في أي مجتمع بشري هو الحياة العائلية، فكيف ينتظم الاثنان في سلك الزواج؟ وماذا يختاران عندما يصعب هذا الانتظام؟ فالمجتمع العماني المشهود في مسقط يطبق ما يوحي إليه الدين القيم "الإسلام" إلا أشياء، حيث يختلف هذا المجتمع عن المجتمعات الأخرى، فيقول الكاتب ما يلي:

“When a man marries he does not see his destined bride until after the marriage ceremony has been performed but to gain some knowledge of the lady he depends upon the report of some old woman generally a servant in his family, whom he sends to make her observations. In this way, he gets a pretty good description of the lady’s personal charms, and he must trust to look for the rest. If satisfied with the report, he then makes proposals, through a priest, who asks the lady whether she is willing to take such an individual for a husband, and on gaining her consent, the father is informed of it but he, as well as all her male relations, are careful to absent themselves at the time of the wedding. Though so carefully secluded, intrigue and faithlessness amongst women is very rare, because the disgrace attached to the crime, extends not only to her immediate family, but also to the whole tribe to which she may belong”[[22]](#footnote-22).

ترجمة: وعندما يريد امرؤ الزواج من امرأة لا يراها قبل أن يتم عقد الزواج بينهما، إلا أنه لأجل الحصول على بعض المعلومات عن تلك المرأة، يتكل على تقرير امرأة عجوز، تكون خادمة مسنة في عائلته، يرسلها لاستطلاع الأمر، وهكذا فهو يحصل على وصف مفصل عن جمال وخلق تلك المرأة، وعليها يبني ما فاته من المعلومات عنها، وعندما يطمئن إلى التقرير يتقدم لخطبتها عن طريق شيخ يسألها: هل هي ترضى أن تجعل ذلك الفتى زوجًا لها؟ وبعدما يستلم رضاها عن الأمر يخبر به والد الفتاة، ولكن الوالد وغيره من ذكور عائلة الفتاة يحرصون على التغيب عن مراسم الزواج، وبما أن الفتيات يقرن مفترقات عن الفتيان فيندر وجود المحبة وعدم الخلوص فيما بين النسوة؛ وذلك مخافة العار اللاحق، لا بأسرة المرأة فحسب، بل بالقبيلة التي تنتسب إليها كذلك.

فهذا الزواج من أنواع الزواج التي يشجعها الإسلام، الذي يسمى اليوم بـ"Arranged Marriage" (الزواج المرتب)، إلا أن الاتصال بالخادمة المسنة[[23]](#footnote-23) شيء لا يعم في المجتمعات الأخرى، وهذا ليس بما يضر، بل الأحسن أن يتعرف الخاطب على الفتاة التي يريد خطبتها؛ كيلا يحدث شيء من النزاع بعد عقد الزواج.

وعمر الزواج عندهم يتراوح ما بين 12 و15 سنة من عمر الشاب، كما ذكره الرحالة، وكما أشار إليه السلطان ذاته[[24]](#footnote-24).

وبما أن الطلاق صنو الزواج، فلنسمع حديثه عن هذا:

“Another check is that the husband can put away his wife, at any moment, by saying simply, “I divorce you”, and terrible are these words in the ears of a woman, after which they are no longer man and wife, he gives her the property she may claim as her own, and sends her back to her father’s house. After that, he cannot again see her face, unless the marriage ceremony be again performed. In this way, a man may separate from his wife three times, but cannot marry her a fourth time, until after she has been the wife of another”[[25]](#footnote-25).

ترجمة: وهناك أمر آخر عجيب للغاية، يتمثل في أنه يحق للزوج أن يترك زوجته في أي لحظة بمجرد القول: "إني أطلقك"، وما أفظع هذه الكلمات عندما تصل إلى سمع الزوجة! فإنه لا يكون أحدهما زوجًا للآخر بعد هذه الكلمات، فهو يؤدي إليها من الممتلكات ما تدعيه هي، ومن ثم يرسلها إلى دار أبيها، وبعد ذلك لن يستحق لهما أن يرى بعضهما البعض إلا أن يعقد الزواج مرة أخرى، وهو أن تتزوج المطلقة من رجل آخر فيطلقها هذا الزوج الثاني.

**وثالثًا: التزام العرب بالواجبات الدينية:**

وقد بدا من هذه المباحث أن أهالي مسقط معظمهم مسلمون مؤمنون بتوحيد الإله ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فلنرَ هنا كيف هم يؤدون هذا الواجب، ولم نرد ذكر هذا الجانب إلا لأن الكاتب قد انتابته الحيرة من حالتهم هذه، فهو يقول:

“A most inflexible observance of the precepts of their religion is a principal feature in the character of these people for nothing will prevent them from praying at the appointed hour. The officer who came on board of the ship, before we arrived, never omitted prayer at noon, and at four o’clock in the afternoon. He never hesitated to signify it was his hour, and, spreading out his turban on the quarterdeck, turned his face towards Mecca, and went through his genuflexions and prayer with the same formality that he would have observed in a holy temple of the Prophet”[[26]](#footnote-26).

ترجمة: ومن أشد ما شهدته من إرشادات دينهم ميزة معاملاتهم الأساسية بأنه لا شيء مانع إياهم عن أداء الصلاة في الوقت المحدد، فالمسؤول الذي زارنا على متن الباخرة، قبل وصولنا هنا، لم يتخلف في أداء صلاة الظهر، وفي الساعة الرابعة مساءً أدى صلاة العصر، إنه كذلك لم يتردد في التصريح بها، وأن ساعة الصلاة قد حانت، ومن ثم نشر عمامته على سطح الباخرة متوجهًا نحو مكة، وشرع يصلي فيركع ويقعد مثلما شهده هو في المسجد النبوي الشريف.

وهو يمضي قائلًا:

“One day, he had occasion to take medicine, but did not swallow it till he had muttered a prayer, which, in his mind at least, increased the beneficial qualities of the potion, and then, with a look of pious resignation, drained the drugs ---”[[27]](#footnote-27).

ترجمة: ذات يوم آن له أن يتناول الدواء، ولكنه لم يتناوله قبل أن يتلفظ بشيء من الدعاء الذي بإمكانه، كما يعتقد هو، أن يزيد قدر ما يأخذه من الدواء نفعًا وتأثيرًا، ومن ثم نظر إليه بصورة عبودية فتناوله.

**ورابعًا: التعليم:**

وبما أن التعليم يلعب دورًا فعالًا في رفع الأمم أو خفضها، فلا بد لنا أن نرى كيف كانت حالته في مسقط، فيبدو - مما ذكره الكاتب الرحالة - أن مسقط كانت تمر بحالة سيئة للغاية في هذا المجال، فإن كانت هذه الحالة في مسقط وهي عاصمة، فماذا تكون حالة القرى والبلدات البعيدة عن العاصمة التي لم تكن تتمتع بأي تسهيلات ومرافق مما حظيت به هذه البلدة؟! فاسمعوا قصته بكلمات الرحالة ذاته:

“Education is not much attended to in the Sultan’s dominions. Children generally are only taught to read and write and recite passages from the Koran. The wealthy send their sons to Bombay, Calcutta and occasionally to Persia, for instruction. Physicians study their profession in the latter country, but are not considered by the Arabs themselves trustworthy as surgeons. In this section of the East the Persian language is what French is in Europe, a court language, which all the educated speak. Some of those who have been educated in British India pay considerable attention to English. I saw in the house of one gentleman the novels of Scott and Cooper. As yet the engine of knowledge and civilization, the press, has not been introduced into Muscat and it is to be regretted because under the government of so rational a monarch as Qyed Sayeed bin Sultan, it would be a perennial fountain of blessings and benefits to the subjects”[[28]](#footnote-28).

ترجمة: التعليم لا يصل إلى مستوًى عالٍ في نطاق حكم السلطان، فالأطفال لا يعلمون إلا قدر ما يقدرون به على القراءة والكتابة وتلاوة القرآن الكريم، وأما الأغنياء فهم يرسلون أولادهم إلى مومبائ وكولكاتا، وفي بعض الأحايين إلى فارس للتعليم والتربية، الأطباء ينالون علم الطب في الدولة الأخيرة (فارس)، ولكن العرب أنفسهم لا يثقون بهم كجراحين، ففي هذه البقعة من الشرق تعتبر اللغة الفارسية لغة المحاكم، حالها في ذلك حال اللغة الفرنساوية في أوربا، فكل مثقف في هذه البقعة يتكلم بها، إلا بعض الذين تعلموا في الهند البريطانية، فهم يوجهون عناية أكثر إلى اللغة الإنجليزية، وقد وجدت في بيت بعض الأعيان روايات إسكوت وكوبر (Scott & Cooper)، وحتى الآن لم تعرف مسقط المطبع، الذي يعتبر أروع وأهم سبب للعلم والحضارة، وهذا مؤسف للغاية؛ فالناس يعتبرون السلطان (السيد سعيد بن سلطان) شلالًا متدفقًا من البركة والمنافع للرعايا.

بقراءة هذه الفقرات يمكنك تقدير الوضع الشديد السوء الذي وصل إليه التعليم في مسقط، ومن ثم في عمان كلها خلال تلك الفترة، ولو أمعنا النظر فيها لأدركنا أن مستوى التعليم في مسقط لم يكد يبلغ ما بلغه المسلمون من مستوى الدراسة في عصر صدر الإسلام.

**المبحث الثالث: التجارة وإنفاقها في مسقط**

وقد كانت التجارة، كما يقول روتشنبرغر، تعمل عملها بين مسقط والبلاد الأخرى عن طريق البحر الأحمر، وساحل إفريقيا الشرقي، وخليج فارس، وموريشيوش، وعديد بلاد الحارات، مثل: الهند والصين، وتوجد هناك شركة للتأمين، كافة أعضائها البانبان، ويؤمن لديها كافة تجار مسقط مراكبهم التي يستخدمونها في الغوص على اللؤلؤ، فتلج البحار وتخرج الجواهر من أعماقه[[29]](#footnote-29).

**أولًا: صادرات مسقط ووارداتها:** مسقط كانت تصدر العديد من الأسباب والبضائع والأمتعة، بما فيها القمح، والتمر، والخيول، والزبيب، والسمك المملح، والمجوف، وقهوة المولطو، وأنواعًا من الأدوية، ومنتجات شرق إفريقيا، ومستخرجات البحر الأحمر، ومنتجات شمال شرق جزيرة العرب، إضافة إلى منتجات البلاد المجاورة لإيران، التي كانت على طريق فارس (إيران)[[30]](#footnote-30).

وكذا كانت مسقط تستورد الأسباب والبضائع والأمتعة؛ كالأرز، والبضائع القطنية، والصوفية، والحديد، والرصاص، والسكر، والبهارات[[31]](#footnote-31)، وكذا الأواني المصدرة عن طريق خليج فارس، التي كانت تباع في أسواق البصرة، وإيران، وكذا تستورد مسقط صمغ الكوبال، والعاج، ودروع السلاحف، وجلود الكركدن الوحيد القرن، وقرونه، وشمع النحل، وزيت اللوز، وجلود الثيران، والعود، والصمغ العربي، وحبوب الدخن، والسمن من شرق ساحل إفريقيا وكولومبو، وكذلك القطن من أمريكا[[32]](#footnote-32)، ولم توجد أواني أمريكا في أسواق مسقط إلا قليلًا"[[33]](#footnote-33)، وعلاوة على ذلك كانت تستورد الجواهر من البحرين[[34]](#footnote-34)، وعطر الوردة والياسمين من القسطنطينية[[35]](#footnote-35).

ولنضف إلى فهرس الصادرات والواردات ما سيأتي ذكره من البضائع الصادرة والواردة في ذكر أسواق مسقط[[36]](#footnote-36).

**وثانيًا: الأسواق:** لم يصف الرحالة إلا قليلًا عن الأسواق، ولكن يبدو من دراستها أن الدكاكين كانت مثل الدكاكين المتوفرة في الأرياف؛ حيث تجد كل شيء في سوق واحدة، وحيث ينعدم أي مبنًى جميل، كما لم تتخصص الدكاكين ببيع بضاعة محددة أو متاع خاص، مثل دكاكين الملابس، أو دكاكين الخضراوات، أو دكاكين اللحم، فيقول السائح:

“At several stalls, the only store-room was a large chest, set fast in masonry. Here we saw several Beloches, burnishing sword blades, which they held fast upon the ground with their feet, while they rubbed them with burnishers --- Here sat, amongst his drugs, a long, skinny-fingered apothecary, here he squatted, with herbs and simples spread on the ground, weighing out the quantities of a writen prescription ---”[[37]](#footnote-37).

ترجمة: ففي معظم الدكاكين الصغيرة (الأكشاك) لم أجد إلا صندوقًا كبيرًا من خشب موضوعًا في مبنًى حجري، وقد وجدنا هنا العديد من البلوش يصقلون شفرات السيوف، التي يرفعونها بسرعة من الأرض بأقدامهم، وفي ذات الوقت يتم تلميعها، هنا جلس القرفصاء في صيدليته شخصٌ طويلٌ بأصابع نحيفة، فارشًا أدويته على الأرض يزن مقادير دونت في وصفة.

وأما البضائع والأمتعة التي كانت تباع وتشترى في هذه الأسواق، فهي كانت - كما يقول الرحالة - ضمن سوق أخرى:

“The articles exposed in the bazaar for sale, were similar to those seen in Muscat; beads, bracelets, cottons, sticks of antimony, (the sulphuret) rosebuds, sandals, senna leaves etc.”.

ترجمة: البضائع المعروضة للبيع في هذه الأسواق كانت مشابهة لتلك التي شاهدناها في أسواق مسقط، وهي القلائد، والأساور، ومنتوجات القطن، وعصي الأنتيمون، وبراعم الورود، والشباشب الجلدية، وأوراق وثمار نبات السنا، وغيرها من البضائع والمنتوجات"[[38]](#footnote-38).

ويقول كذلك واصفًا البضائع الموجودة على ظهر السفينة، التي تستورد لهذه الأسواق:

“Amongst various articles brought on board for sale, were khungers, and swords, some of which were of Persian manufacture[[39]](#footnote-39), but most of them were made in England for this market. The attar of roses, and jasmine flowers, were brought off in considerable quantities, but neither of them is manufactured in Arabia. They are brought from Constantinople, both by the way of the Red Sea, and over the land to Persia, and down the Euphrates, and thus find their way to all parts of India, being articles much used by wealthy everywhere in the East”[[40]](#footnote-40).

ترجمة: من بين البضائع التي حملتها السفن لتباع: خناجر وسيوف، بعضها كان مصنوعًا في بلاد فارس، ولكن أغلبيتها صنعت في إنكلترا لهذه السوق، وكذا كانت تستورد كميات كبيرة من عطر الورد والياسمين، ولكنهما لا يصنعان في الدول العربية؛ حيث يتم استيرادهما من القسطنطينية عن طريق البحر الأحمر وعبر الطريق البري، مرورًا ببلاد فارس ثم الفرات، لتجد طريقها إلى كافة مناطق الهند؛ وذلك لكونها بضاعة يستخدمها كافة الأثرياء في أرجاء الشرق كلها.

وكذا يقول عن أنواع الجواهر المتوفرة في هذه الأسواق:

“--- The pearls of Bahrain are not so white as those of Ceylon, or of Japan; but they are larger than those of the former, and of a more regular form than those of the latter place. Their color inclines to yellow, but they possess an advantage over others, in maintaining their luster; while the white ones, particularly in hot climates, in the course of time, lose their brilliance. The shell, known as nacre, or mother of pearl, is applied to many purposes, in all parts of Asia. The pearls if irregular form and size pass to Constantinople and Turkey; the large ones are worn as ornaments in the hair, and the small ones are employed in embroidery. The perfect ones are sent to Surat, and all parts of Hindoostan. There is a little fear of much diminution in their consumption or price, in the east. They are passion of the women ---”[[41]](#footnote-41).

ترجمة: إن لآلئ البحرين ليست بيضاء ناصعة كبياض لآلئ سيلان أو اليابان، ولكنها أكبر منها حجمًا، وأشكالها منتظمة أكثر من لآلئ البلدين الأخيرين، ورغم أن لونها يميل للون الأصفر فإنها تملك خصوصية عن غيرها، تتمثل في احتفاظها ببريقها، في حين أن اللآلئ البيضاء تفقد بريقها عبر الزمن، خاصة في الأجواء الساخنة، أما اللؤلؤة الكبيرة الحجم أو الدانة فتستخدم لعدة أغراض في كافة أرجاء آسيا؛ إذ إن اللآلئ التي ليس لها أشكال أو أحجام منتظمة ترسل إلى القسطنطينية وتركيا، والكبرى حجمًا توضع كزينة في الشعر، والصغيرة تستخدم في التطريز، أما المكتملة فترسل إلى مدينة سورت وكافة بقاع الهند، إلا أن هناك مخاوف من قلة استعمالها وانخفاض أسعارها في الشرق إن اللآلئ من أكثر أنواع الزينة التي تشغف بها النساء.

ولنعلم أن روتشنبرغر لم يذكر كافة البضائع التي كانت تصل إلى مسقط، بل كانت هناك بضائع أخرى تستورد، وكان العرب يقبلون عليها.

**المبحث الرابع: نظم الدولة وقوتها**

لا تقوم دولة إلا على أسس ثلاثة؛ الحاكم، وقوته، ورواج العدل في الدولة، سنفصل عن كل منها حسبما وفره لنا روتشنبرغر من المعلومات.

**أولًا: السلطان وما والاه:**

فالسلطان من أولئك الحكام الذين لهم ميزات وخصائص[[42]](#footnote-42)، إنه استولى على العرش بقتل عمه[[43]](#footnote-43)، إنه مفطور على الشجاعة والتقوى، قد حج لبيت الله الحرام[[44]](#footnote-44)، وهو مولع بالعلم وإحيائه، طُبع على السخاء كعادة العرب القدامى[[45]](#footnote-45)، للسلطان وأفراد عائلته عمامة خاصة لا يلبسها أحدٌ غيرهم، ولهذه العمامة أهمية كبرى، وهي التي تميزهم عن غيرهم[[46]](#footnote-46)، السلطان يلقب بـ: "الإمام"[[47]](#footnote-47)، وله زوجتان بجانب أكثر من عشرين أمة من مختلف البلاد، له سبعة أولاد ولا ابنة له[[48]](#footnote-48)، قصر السلطان نموذج جميل للسذاجة، فلا يوجد فيه الكثير من أسباب الزينة، فعندما تدخل القصر تجد شجرة الليمون تستقبلك، والسلالم مصنوعة من الخشب، في بعض الجدران خرائط للحرب والأشياء الأخرى[[49]](#footnote-49)، الخدام يلبسون الملابس البيضاء مع الخناجر الثمينة في الحزام الذهبي، إنهم يقومون على جانبي الممر حفاة[[50]](#footnote-50)، وحفاةً يدخل الديوانَ كل الناس، حتى السلطان وأولاده[[51]](#footnote-51)، إنهم يسلمون على عادة العرب المسلمين: "السلام عليكم"، لا "Good morning" أو شيء آخر يشبهها[[52]](#footnote-52).

دعا السلطان روتشنبرغر ورفقاءه على المأدبة، فيصف السائح هذه الدعوة كما يلي:

عندما وصلت كان الطعام موضوعًا، ومن عادة السلطان أنه لا يجلس مع المدعوين إلى الطعام حتى يتناولوا ما قدم لهم بدون أي تكلف؛ لذا يرافق المدعوين في هذه الدعوة مسؤولون آخرون[[53]](#footnote-53)، كانت السجادات الفارسية موضوعة على الفرش، وأما الخوان فكان من شعر الإبل، كما كان الرقص والأهازيج مستمرةً، كانت الكؤوس من الشيشة، بينما استوردت الصحون من فرنسا[[54]](#footnote-54)، والعرب لا يستخدمون أدوات الأكل مثل الشوكة، بل هم يأكلون بأيديهم؛ حيث إن أصابعهم تقوم مقام الشوكة؛ ولذا لم يكن على المائدة شيء من هذه الأدوات، ويقدم العرب لضيوفهم طعامًا أكثر من اللازم، وهو طعام يكفي لمائتي رجل إنكليزي أكول[[55]](#footnote-55)، كانت المأدبة مكونة من تيسين محشوين بالتمر والإجاص والكاجو، وكلها كانت مطهية، وقد طبخت بطريقة واحدة مثل اللحم الحلو[[56]](#footnote-56)، والأرز مع السكر والكركم المسحوق يبدو كأنه الإدام، وأما الكاك مثل اللوزينج فكان علوه قدر بوصة، وقد صنع من الأرز والحليب، بعضها أبيض، والبعض الآخر أصفر مثل الكاك الحلو أو الخبز الحلو، ووضعت في صينية، وكان هناك أيضًا المانجو والعنب والتفاح، والعديد من أنواع الشراب، كل هذه الكمية من الطعام كانت موضوعة على المائدة، وهي كانت أشبه ما تكون بالسيل، كما كانت كل هذه الأشياء يختلط بعضها ببع] على المأدبة، فيصعب على المدعو أن يختار من بينها ما هو يريد تناوله، إن هذه كانت مأدبة مقتصدة، ومعظم المطاعم كانت من ذات طعامنا، وقد قدمت القهوة في فناجين مصنوعة من الصين على صوان، وفي كل صينية ثلاثة فناجين، وبعد تناول القهوة جاء الخدم بمناديل مبللة في العطر الوردي لكل ضيف، كما جاؤوا بأباريق من العطر الوردي، وبعدها دخل السلطان وغادرنا القصر[[57]](#footnote-57).

**وثانيًا: القوة البحرية:**

وبما أن السلطان كان عزيزًا ومحبوبًا لدى شعبه، فلم يحتج إلى قوة في دولته؛ لذا فلم يشر روتشنبرغر بشيء عن قوته الداخلية، وكذلك لم يتحدث كثيرًا عن القوة البحرية للسلطان، ولعل السبب وراء هذا كون عمان دولة تجارية تنشد الأمن والسلام، وتبغض الحرب والقتال، وكذا لم تكن لها دولة معادية سوى البرتغاليين الذين طردوا منها طردًا ذليلًا، وعلى هذا فلم تكن قوة السلطان البحرية كتلك التي نشهدها عند الهند والباكستان، وفي هذا السياق يقول روتشنبرغر:

“The Arabs Navy, under a blood red flag, at present, consists of seventy five vessels, (built on the coast of Malabar) carrying from four to fifty-six guns each. His principal officers were educated at Bombay or Calcutta, and his ships are in effective discipline”.

ترجمة: القوة البحرية للسلطان لها راية حمراء فاقع لونها، تتكون من 75 سفينة كبيرة، بنيت على ساحل مالابار، وهي تقدر على حمل أربعة بنادق إلى ستة وخمسين بندقًا، وقد تعلم ضباطه الكبار في مومبائ أو كولكاتا، وسفنه منضبطة بشكل فعال[[58]](#footnote-58).

**وثالثًا: المحكمة:**

ولعموم الأمن والسلام الداخلي لا بد من أن يعم الدولةَ العدل والإنصاف، فبجانب قلة وقوع الجرائم كان العدل عامًّا فيهم، وأما التفاصيل عن معدل الجرائم ونوعية الفصل عنها وكيفية المحاكم في الدولة، فنوفرها في ضوء ما ذكره روتشنبرغر:

كانت السرقات قليلة نادرة في المجتمع العماني، لكن كانت تقع بعض النزاعات المحدودة، التي لم تكن تتجاوز إلى الحرب والقتال، وهذا يعني أن المجتمع العماني في تلك الأيام كان آمنًا لا ظلم فيه ولا عدوان، فلا خوف فيه ولا حزن، وهذا بالطبع بسبب فقد الطرق الحديثة للجرح والتعديل، ووجود الأنواع المتنوعة الشديدة من العقاب كما نرى اليوم، فيقول السائح مشيرًا إلى طريقة العدل ووجود المحكمة في المجتمع العماني:

“A large portion of the Sultan’s time is occupied at the divan, above mentioned, in hearing petitions, and administering justice in criminal cases. All litigation involving property is decided by four judges. There are no lawyers in the place, and the parties only advise and counsel with their friends. Theft is not common, but instances of personal quarrel are frequent, and are often decided on the spot, by an appeal to the Khunger or sword. Murder is a capital offence, unless the relatives of the deceased are willing to commute the sentence for money; in which case they usually accept of one thousand dollars. Duelling is unknown ---”[[59]](#footnote-59).

ترجمة: السلطان يبقى مشغولًا في بلاطه لوقت طويل في الاستماع إلى الالتماسات وإقامة العدل في القضايا المتعلقة بالجرائم، فكافة الدعاوى المتعلقة بالممتلكات ينظر فيها أربعة قضاة، لا يوجد في المحكمة محامون، ويمكن للمتخاصمين أخذ المشورة من أصدقائهم وإخوانهم، ولا يعمهم السرقة، إلا أن نماذج التشابك توجد بالكثرة، ولكنها يقضى عليها في الموقع ذاته باللجوء إلى الخَنجَر أو السيف؛ فالقتل جريمة عاقبتها الموت، إلا أن يرضى أولياء المقتول بأخذ الدِّيَة التي تصل في العادة إلى ألف دولار، وكذا المبارزة لا يعرفها المجتمع ---".

فبدا من هذا أن أسلوب العدل والمحاكمة المتبع في أيامنا هذه لم يكن يوجد في تلك الأيام؛ فالسلطان كان هو قاضي قضاة العدل، وكان القضاة يشيرون في المسائل بعد الاستماع إلى القضايا، ولا محامي موجود سوى الاستشارة من قِبل الأصدقاء والإخوان.

**المبحث الخامس: روتشنبرغر، ما له وما عليه**

**أولًا: انتقادات روتشنبرغر:**

انتقد روتشنبرغر العديد مما رآه في مسقط وغيرها من البلاد، فأذكر هنا طرفًا منها:

* **مخالفة القرآن في تأمين البضائع:**

ومن بين ما انتقده السائح من معلومات تجار مسقط المسلمين تأمينهم بضائعهم عند شركة تأمينية، ولا شك أن هذا يخالف العقيدة الإسلامية، التي تقول بالاتكال التام على الله جل جلاله في كافة الأمور المستقبلية، ولنقرأ هذا في كلماته هو:

"There is here an insurance company, all the members of which are Banyans; and notwithstanding said an Arab merchant to me, “The Qur’an requires the Moslem to trust in God alone, for success in all transactions, the merchants of Muscat usually insure their ships and cargoes, before committing them to the perils of the great deep”[[60]](#footnote-60).

ترجمة: وهناك شركة تأمينية، كل أعضائها البانيان، وقال لي عربي: بالرغم من أن القرآن يتطلب من المسلمين ألا يتكلوا إلا على الله وحده للقاء النجاح في كل الأمور التجارية، فتجار مسقط عادة يؤمنون بواخرهم ومراكبهم قبل أن يودعوها للبحث عن اللآلئ والدرر من أعماق البحر.

* **القتل على هتك العرض:**

والشيء الثاني الذي لاحظه السائح من خلال اختلاطه بالعرب أنهم لا يصبرون على هتك العرض، وهذا من الواقع أنهم لا يصبرون حتى على هتك أعراض مواليهم؛ فإن الموالي، كما يعتقدون، جزء منهم، فإذا هتك عرض مولًى منهم فكأنه هتك عرضه هو، فيقول طرفة بن العبد:

|  |  |
| --- | --- |
| وأعلَمُ علمًا ليس بالظن أنه | إذا ذلَّ مولى المرء فهو ذليل[[61]](#footnote-61) |

ويقول زهير بن أبي سلمى:

|  |  |
| --- | --- |
| ومن لم يذُدْ عن حوضه بسلاحِه | يُهَدَّمْ، ومن لم يظلمِ الناس يظلم |
| ومن يجعل المعروف من دون عِرضه | يَفِرْه، ومن لا يتق الشَّتم يشتم[[62]](#footnote-62) |

ولصيانة عِرضهم وإبقاء عزتهم يفعلون ما يقدرون عليه، ولو وصل الأمر إلى القتل، فلنقرأ ما بلغه الكاتب بكلماته هو:

“Captain Calfeun expressed his astonishment that such a silly custum should prevail amongst sensible and rational people (that) ‘If a man insult you, kill him on the spot; but do not give him the opportunity to kill, as well as insult you’[[63]](#footnote-63).

ترجمة: وقد أعرب قبطان السفينة كالفيون عن دهشته من سيادة مثل هذه العادة السخيفة بين ناس مرهفين وعقلانيين، التي تتمثل في أنه إذا حقرك رجل فاقتله في موقع الإهانة، ولا تُعطه الفرصة ليقتلك، أو ليحقرك.

* **سبق الخوان الآكلين:**

والشيء الآخر الذي أشار إليه السائح، ولو أنه أصبح معتادًا اليوم ولا يفطن له المسلمون هذه الأيام، وهو وضع الطعام قبل مجيء المدعوين والضيوف بوقت غير قصير؛ فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يوضع الطعام قبل مجيء الآكل، فلا ينبغي أن ينتظر الطعام آكله، بل ينبغي أن ينتظر الآكل الطعام، وبما أن الكاتب لم يكن مسلمًا فقد أمعن النظر في كل شيء رآه عند هؤلاء المسلمين العرب، ولعله كان خبيرًا بما أشرت إليه من الحديث النبوي الشريف[[64]](#footnote-64).

* وكذا وجد أشياء كثيرة غريبة بالنسبة له فأشار إليها، ولكن نغض الطرف عنها.

**وثانيًا: زلات وأخطاء روتشنبرغر:**

روتشنبرغر الذي شهد ما شهده عن كثب، ولكنه أخطأ في بعض الأحيان في تقدير ما شهد وما رأى، ولم يُصِب في تقديم تجاربه الشخصية مع عرب عمان، ولا سيما عرب مسقط؛ وذلك لأن وصفه لبعض الأمور والحقائق يخالف ما اعتاده العرب كلهم في عمان، وفي الدول العربية الأخرى، فما قال أو ذكره الرحالة لا يمتُّ إلى العرب الأقحاح بصلة، ولكم، فيما يلي، بعض هذه الأمور والحقائق التي أخطأ في وصفها روتشنبرغر:

1. يقول واصفًا حالة الفقراء المتسولين:

“Blind beggars are numerous in the streets, and, in spite of the recommendation in the Koran to give alms, and the declaration which Mohammed is said to have made, they receive but little, and are left in a most pitiable condition. They sit on the ground, with a hand extended, while the other is pressed across the breast, beseeching charity, in most lugubrious tones. I asked a sailor, “who belonged to the boat which was sent from Mazeira to Muscat, what sort of a place the city was” “I hardly know, sir” he replied, “It is all what they call a bazaar and a dirty hole it is, and the people seem to be dying like rotten sheep”.

 “What seems to be the matter?”

“I don’t know; but they are sitting about in the dirt, and groaning as if they were in great pain”.

“What did you think was the cause of their groaning?”

“I don’t know; but they looked as if they were starving to death”[[65]](#footnote-65).

ترجمة: المتسولون العُمي يكثر عددهم في الأزقة، وبالرغم مما أمر به القرآن الكريم من إيتاء الزكاة، ومن ثم أكد عليه النبي محمد، لا ينال هؤلاء الناس إلا قليلًا، فيجلس بعضهم على الأرض مادًّا يده، بينما الآخر يجذبها إلى صدره طالبين الصدقة والزكاة بأسلوب ملؤه حزن وبؤس، فسألت بحارًا ينتمي إلى السفينة التي كانت قد أرسلت من مصيرة إلى مسقط: أي بلدة هذه؟ فأجاب: أنا بالكاد أعرف يا سيدي! هذه ما يسمونها بالسوق (Bazaar)، وهي دائرة كدرة، بينما الساكنون فيها يبدون أمواتًا مثل الغنم البالي.

"ما هي الحقيقة؟".

"لا أدري إلا أنهم يجلسون في التراب، ويئنُّون كأنهم مصابون بألم شديد".

"برأيك ما سبب أنينهم؟".

"لا أدري، إلا أنهم يبدون كأنهم يموتون جوعًا".

لعل هذا الكاتب لم يشهد حالة المتسولين في دلهي وفي بقاع الهند الأخرى، لو زار المسجد الجامع بدلهي فقط لما اشتكى ما شكاه هنا، فقد كان رجل كبير السن سيئ البال يجلس في مدخل حينا متسولًا، إنه لم يسلم مرة ثانية على الرجل الذي لم يعطه صدقة أولًا وثانيًا، لم يأكل إلا العنب وما شابهه من الفواكه، ولم يشرب إلا الحليب، وبتلك الطريقة كان يجمع ثلاثين ألف روبية شهريًّا ويرسلها إلى أولاده الساكنين في شملة (Shimla)، وشملة من أجمل بلاد الهند كما تعرفون، فلما كشف لي عن حقيقة الأمر صاحبُ الفندق الذي كان يجمع لديه هذه الأموال توقفت عن تقديم أي صدقة إليه، والواقع أن التسول أصبح تجارة؛ فالناس يتسولون زرافات ووحدانًا في صور غريبة للغاية، وبأساليب عديدة متنوعة.

1. ويقول في موضع آخر عن عادة الناس في الخيانة بمن فيهم العرب كما يظن هو:

“The Arabs are of small stature and have small heads. They are proud, hospitable, and taciturn, nor are they moved with concord conversation, properly so-called is not common amongst them, which may be considered as an evidence of want of civilization. They are said to be cheats and not trustworthy, by those who have dealt with them”.[[66]](#footnote-66)

ترجمة: العرب لهم قامات صغيرة، ولهم رؤوس صغيرة كذلك، إنهم يحبون الفخر بأنفسهم، والسخاء، والإيجاز في الكلام، ولا يغيرهم الأحاديث الودية التي هي ليست من سماتهم، وهي تدل على افتقادهم للحضارة، وقال عنهم من تعامل معهم: إنهم مخادعون، وغير جديرين بالثقة.

هذا لن يطبق أبدًا على العرب؛ فإنهم مجبولون على الوفاء بالوعد، وهم يفعلون ما يقولون، ولنا دلائل عديدة على هذه الدعوى، فيقول امرؤ القيس الكندي:

|  |  |
| --- | --- |
| والله أنجح ما طلبت به | والبِر خيرُ حقيـبة الرحل |
| ومن الطريقة جائر وهدًى | قصد السبيل، ومنه ذو دَخَل[[67]](#footnote-67) |

ويقول أبو محجن الثقفي:

|  |  |
| --- | --- |
| لا تسألي القومَ عن مالي وكثرته | وسائلي القومَ ما فِعلي وما خُلقي[[68]](#footnote-68) |

ويقول المثقب العبدي:

|  |  |
| --- | --- |
| لا تقولن إذا ما لم تُرِد | أن تتم الوعد في شيء: نعم |
| حسن قولُ "نعم" من بعدِ "لا" | وقبيحٌ قــولُ "لا" بعد "نعم" |
| إن "لا" بعد "نعم" فاحشة | فبـ: "لا" فابدأ، إذا خفت الندم |
| فإذا قلت "نعـم" فاصـبِرْ لها | بنجـاح القول، إن الخلف ذم[[69]](#footnote-69) |

وليس هذا فحسب، بل ذكر روتشنبرغر ذاته في مكان ما من رحلته عن أهالي مسقط: أن حوادث السرقة لا تقع عادة، بمعنى آخر فإن العرب قوم قنوعون بما لديهم، فكيف تخشى منهم الخيانة؟[[70]](#footnote-70)، ويقول كذلك: إنهم ربما يخوضون في العديد من النزاعات، إلا أنها لا تجرهم إلى الحرب والقتال[[71]](#footnote-71).

فمن يدعي مثل هذه الدعوى، هل يرجى منه أن يرتكب مثل هذه العادة القبيحة؟

1. ويقول عن قبول النبي محمد الوحي الرباني كما يلي:

“Mohammed obliged his followers to prey five times twenty-four hours at certain stated times --- for this institution, he pretended to have received the divine command from the throne of God himself”.[[72]](#footnote-72)

ترجمة: لقد أوجب محمد على أتباعه أن يصلوا الصلوات الخمس في ساعات محددة في أربع وعشرين ساعة --- ولأجل ذلك فقد تظاهر بأنه استلم وحيًا ربانيًّا من عرش الله ذاته.

فليعلم أولًا أن النبي محمدًا لم يوجب على المسلمين أن يصلوا خمس مرات كل يوم، بل هذا مما أمرهم به ربهم جل جلاله، وأما محمد فهو ليس إلا رسولاً يبلغ أتباعه ما يأمرهم به ربهم.

والشيء الثاني هو ما استخدمه الكاتب من الكلمة للتعبير عن استلام النبي وحيًا من الله سبحانه؛ فكلمة "pretended" لا تناسب دعوى النبي لاستلامه وحيًا من الله، إن ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم صحيح حق، ولم يكذب النبي صلى الله عليه وسلم فيما قال.

1. ويمضي قائلًا عن وجود ذكر أوقات الصلوات الخمس في القرآن:

“--- and the observing of the stated times of prayer is frequently insisted on in the Koran though they be not particularly prescribed therein”.[[73]](#footnote-73)

ترجمة: وقد كثر التأكيد على مراقبة أوقات الصلاة المذكورة في القرآن رغم أنها لم توصف بصورة محددة.

هذا خطأ فاحش لمن لا يتدبر القرآن؛ فقد جاء ذكر أوقات الصلوات الخمس في القرآن، وإليكم أمثلة لكل وقت من الفجر إلى العشاء؛ يقول تعالى:

{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ} [هود: 114].

وقال تعالى:

{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: 78، 79].

نأخذ الآية الثانية فحسب؛ فقد ذكر فيها كلمة "دلوك"، وهي تعني زوال شيء، والشمس لزوالها ثلاث منازل، أولاها من سمت الرأس، والأخرى من مرأى العين، والأخيرة من أفق السماء، وكل هذه المنازل الثلاث تدل على الأوقات الثلاثة؛ الظهر والعصر والمغرب، والآن نأخذ "غسق الليل"، وهو صريح في وقت العشاء، ثم نتناول "قرآن الفجر"، والفجر واضح وضوح الشمس في وضح النهار، فهذه الآية صريحةٌ في بيان أوقات الصلوات الخمس، وإن أخذنا الآية اللاحقة: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ} [الإسراء: 79]، فتنضمُّ إليها صلاة التهجد كذلك، وأما اللام في "لدلوك الشمس" فهي جاءت لذكر الأوقات؛ كما في الأثر: ((الصلاة لأوقاتها))[[74]](#footnote-74).

وليس هذا فقط، بل أمر الله جل جلاله بأن يصلي الناس مع الجماعة، فقال في سورة البقرة:

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} [البقرة: 43].

1. ويقول عن الخشوع في الصلاة:

“Those who are scrupulously pious, prepare themselves for prayer, either in a mosque or any place that is clean, and utter a certain number of praises or ejeculations ----”[[75]](#footnote-75).

ترجمة: ومن هم أتقياء إلى حد بعيد يستعدون للصلاة، إما في المسجد أو في مكان طاهر، ويلفظون كلمات معدودات خاصة، أو ما يتلفظونها عن ظهر قلب ---.

وهذا خطأ بين؛ فإن الخشوع مما يستلزمه الصلاة، فيقول تعالى:

{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ} [البينة: 5].

ويقول أيضًا:

{فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: 14].

ويقول كذلك:

{وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنعام: 72].

وكذا الاستعداد للصلاة، الذي أعلى صوره الوضوء، شيء واجب لمن يريد أداء الصلاة؛ فقيد "التقوى" له شيء ليس من متطلباته.

1. وكذا يقول في موضع آخر عن خلع النسوة حليهن للصلاة:

“--- but lay aside their costly habit and pompous ornaments, if they wear any, when they approach the devine presence lest they should seem proud and arrogant”[[76]](#footnote-76).

ترجمة: --- ولكنهن يتركن عاداتهن المكلفة ويخلعن حليهن البهية، إن كن يرتدين أيًّا منها أصلًا، وذلك عندما يتجهن لأداء الصلاة، حيث يبدين فخورات ومتغطرسات.

يبدو من هذا أن روتشنبرغر لم يدرس عن الشريعة الإسلامية وما كان يتصف به المسلمون؛ فالقرآن ذاته قد أمر أتباعه بأن يلبسوا أجمل ما يمتلكونه من الثياب، خاصة أنهم على وشك المثول أمام الله مالك الملك، وله ما في السموات والأرض وما بينهما، بل كل الكون له، لم يجئ في الدين القيم شيء كهذا، إلا أن النبي منع الناس من أن يلبسوا الحلي من الذهب أو من الفضة، كما جاء في الأحاديث مما قاله لابنته فاطمة الزهراء.

1. وأردف روتشنبرغر كلامه بما يلي:

“They do not admit their women to prey with them in public that sex being obliged to perform their devotion at home or if they visit the mosques must be at a time when the men are not there for the Moslems are of opinion that their presence inspire a different kind of devotion from that which is requisite in a place dedicated to the worship of God”[[77]](#footnote-77).

ترجمة: إنهم لا يسمحون لنسائهم بالصلاة معهم في المساجد؛ حيث يتوجب على النساء الصلاة في منازلهن، فإن كانت هناك حاجة لزيارة المسجد، فيجب أن تتم الزيارة في أوقات لا يكون فيها الرجال موجودين؛ حيث يظن المسلمون أن وجودهن يلهمهم نوعًا آخر من التفاني يختلف عن ذلك المطلوب في مكان خصص لعبادة الله.

إن الإسلام لا يمنع النساء من أداء العبادة في المساجد، وحتى الآن تصلي النساء في بيت الله الحرام، كما نراهن يصلين في بعض المساجد الجامعة في الهند كذلك.

1. وكذا استخدم روتشنبرغر كلمة "Temple of the Prophet" عند الحديث عن التزام العرب بالعبادات، فهذه الكلمة لا تستخدم إلا للمعابد الهندوسية، ولنعلم أن المسلمين لا يعبدون غير الله في معابدهم؛ فقوله: "Temple of the Prophet" خاطئ أصلًا.

**المصادر والمراجع**

1. القرآن الكريم.
2. ابن الشجري: حماسة ابن الشجري، دائرة المعارف، حيدر آباد، 1383ھ.
3. أحمد زكي، صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العربية، بيروت، اسم المطبع وسنة الطبع لم يذكرا.
4. الأصمعي: المفضليات، تحقيق وشرح: شاكر وهارون، دار المعارف، مصر، سنة الطبع لم تذكر.
5. أمين أحسن، الإصلاحي، الشيخ: تفسير تدبر قرآن (بالأردوية)، مطبعة تاج، نيو دلهي، 1989م.
6. ديوان امرئ القيس، اسم المطبع لم يذكر، بيروت، 1377ھ.
7. ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية بدمشق، 1395ھ.
8. السيد عبدالحي: يادِ أيام (ذكرى الأيام الخالية، بالأردوية)، مطبع انستيتيوت، علي كره، 1919م.
9. ضياء الدين الإصلاحي: هندوستان عربون كى نظر مين (الهند كما يراها العرب، بالأردوية)، مطبعة معارف، دار المصنفين، أعظم كره، الهند، (المجلد الأول) 1996م.
10. ضياؤ الدين الإصلاحي: هندوستان عربون كى نظر مين (الهند كما يراها العرب، بالأردوية)، مطبعة معارف، دار المصنفين، أعظم كره، الهند، (المجلد الثاني) 1996م.
11. العلامة التبريزي: شرح القصائد العشر، ضبطه: الأستاذ عبدالسلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م.
12. القاضي أبو المعالي أطهر المباركفوري: عرب وهند عهد رسالت مين (العرب والهند في العهد النبوي، بالأردوية)، فريد إنتربرائزيز، دلهي، الهند، 2004م.
13. مجلة "معارف" الشهرية الأردوية الصادرة عن دار المصنفين أكادمي شبلي، أعظم كره، الهند.
14. مجلة الهند الفصلية المحكمة الصادرة عن أكاديمية كيشالايا، بنغال الغربية، الهند.
15. مجموعات الأحاديث أمثال "المستدرك" للحاكم و"شعب الإيمان" للبيهقي وغيرهما مما استفدنا منه عن طريق الإنترنت.
16. محمد طلعت حرب: تاريخ دول العرب والإسلام، مكتبة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الهند، الطبعة الأولى، 1989م.
17. محمود حسن قبصر الأمروهوي: المصادر الهندية للعلوم الإسلامية (ترجمة: الدكتور أورنك زيب الأعظمي)، دار الفكر، دمشق، سورية، 2010م.
18. مقالة "People of Indian Origin in Oman and my Omani Brothers ---" على الإنترنت، تاريخ ووقت: 15/8/2011، 9:45:33 صباحًا.
19. و. س. و. روتشنبرغر: A Voyage round the World، قام بهذه الرحلة في 1835م، والنسخة التي توجد لدي هي من مكتبة الكونغرس.
1. A Voyage round the World، ص 66. [↑](#footnote-ref-1)
2. المصدر نفسه، ص 64. [↑](#footnote-ref-2)
3. هذه المعلومات مبعثرة في الصفحات 62 - 71 للرحلة "A Voyage round the World". [↑](#footnote-ref-3)
4. المصدر نفسه، ص 74. [↑](#footnote-ref-4)
5. المصدر نفسه، ص 77. [↑](#footnote-ref-5)
6. المصدر نفسه، ص 74 - 75. [↑](#footnote-ref-6)
7. المصدر نفسه، ص 76. [↑](#footnote-ref-7)
8. المصدر نفسه، ص 69. [↑](#footnote-ref-8)
9. المصدر نفسه، ص 78. [↑](#footnote-ref-9)
10. المصدر نفسه، ص 68. [↑](#footnote-ref-10)
11. المصدر نفسه، ص 70. [↑](#footnote-ref-11)
12. المصدر نفسه، ص 70. [↑](#footnote-ref-12)
13. المصدر نفسه، ص 86. [↑](#footnote-ref-13)
14. المصدر نفسه، ص 86. [↑](#footnote-ref-14)
15. المصدر نفسه، ص 71. [↑](#footnote-ref-15)
16. المصدر نفسه، ص 71. [↑](#footnote-ref-16)
17. المصدر نفسه، ص 69 - 70. [↑](#footnote-ref-17)
18. المصدر نفسه، ص 86. [↑](#footnote-ref-18)
19. المصدر نفسه، ص 69 - 70. [↑](#footnote-ref-19)
20. المصدر نفسه، ص 71.

وخير صورة لأخلاق العرب وميزاتهم ما قدمه النعمان في التعريف بهم، وهو كما يلي:

" - - - حصونهم ظهور خيلهم، ومهادهم الأرض، وسقوفهم السماء، وجُنتهم السيوف، وعدتهم الصبر - - - ليست أمةٌ من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرًا من أولها وآخرها، حتى إن أحدهم يسأل عن وراء أبيه دنيًّا فلا ينسبه ولا يعرفه، وليس أحدٌ من العرب إلا يسمي آباءه أبًا فأبًا - - - فلا يدخل رجلٌ في غير قومه، ولا ينتسب إلى غير نسبه، ولا يدَّعي إلى غير أبيه - - - إن أدناهم رجلًا الذي تكون عنده البَكرة أو الناب عليها بلاغه في حمولته وشبعه وريه، فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتزي بالشربة، فيعقرها له، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدوثة وطيب الذكر - - - خيلهم أفضل الخيل، ونساؤهم أعف النساء - - - وإنه ليلجأ إليهم المجرم المحدِث من غير معرفة ولا قرابة، فتكون أنفسهم دون نفسه، وأموالهم دون ماله"؛ (تاريخ دول العرب والإسلام، ص 103 - 104). [↑](#footnote-ref-20)
21. A Voyage round the World، ص 72 - 73. [↑](#footnote-ref-21)
22. المصدر نفسه، ص 73. [↑](#footnote-ref-22)
23. وقد سمعنا شيئًا من هذا النوع في المجتمع العربي الجاهلي؛ حيث كانت المرأة المسنة تزور الفتاة التي يريد خطبتَها فردٌ من عشيرتها؛ فهي كانت تراها رأي العين، وتفتش ما أمكن تفتيشه من أعضاء الفتاة المرادة خطبتها، فيروى هذا في كتاب جمهرة خطب العرب كما يلي:

"رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة، يزينها شعرٌ حالك، كأذناب الخيل المضفورة، إن أرسلته خلتَه السلاسل، وإن مشطته قلتَ: عناقيدُ كَرْمٍ جلاها الوابل، وحاجبينِ كأنهما خُطَّا بقلم، أو سودا بحمَم، قد تقوسا على عيني الظبية العبهرة التي لم يرعها قانص، ولم يذعرها قسورة، بينهما أنفٌ كحد السيف المصقول، لم يخنس به قصر، ولم يمض به طول، حفت به وجنتان كالأرجوان، في بياضٍ محضٍ كالجمان، شق فيه فمٌ كالخاتم، لذيذ المبتَسم، فيه ثنايا غر، ذوات أشر، وأسنانٌ تبدو كالدرر، وريقٌ كالخمر له نشر الروض بالسحَر، يتقلب فيه لسانٌ ذو فصاحة وبيان، يحركه عقلٌ وافر، وجوابٌ حاضر، تلتقي دونه شفتان حمراوان كالورد، يجلبان ريقًا كالشهد، تحت ذلك عنقٌ كإبريق الفضة، ركب في صدرٍ كصدر تمثال دمية، يتصل بها عضدان ممتلئان لحمًا، مكتنزان شحمًا، وذراعان ليس فيهما عظمٌ يحَس، ولا عرقٌ يجَس، ركبت فيهما كفان، دقيقٌ قصبهما، لينٌ عصبهما، تعقد إن شئتَ منهما الأنامل، وتركب الفصوص في حفر المفاصل، وقد تربع في صدرها حقان، كأنهما رمانتان، يرقان عليها ثيابها، تحت ذلك بطنٌ طوي كطي القباطي المدمَجة، كسي عكَنًا كالقراطيس المدرَجة، تحيط تلك العكن بسرة كمدهن العاج المجلو، خلف ذلك ظهرٌ كالجداول، ينتهي إلى خصر، لولا رحمة الله لانبتر، تحته كفل يقعدها إذا نهضت، وينهضها إذا قعدت، كأنه دعص رمل، لبده سقوط الطل، يحمله فخذان لفاوان، كأنهما نضيد الجمان، تحتهما ساقان، خدلتان كالبردي، وشيتا بشعر أسود، كأنه حلَق الزرَد، يحمل ذلك قدمان، كحذو اللسان، فتبارك الله مع صغرهما كيف تطيقان حملَ ما فوقهما، فأما ما سوى ذلك فتركت أن أصفه، غيرَ أنه أحسن ما وصفه واصفٌ بنظم أو شعر؛ (جمهرة خطب العرب، 1/143 - 144). [↑](#footnote-ref-23)
24. A Voyage round the World، ص 70. [↑](#footnote-ref-24)
25. المصدر نفسه، ص 73 - 74. [↑](#footnote-ref-25)
26. المصدر نفسه، ص 86. [↑](#footnote-ref-26)
27. المصدر نفسه، ص 86. [↑](#footnote-ref-27)
28. المصدر نفسه، ص 87. [↑](#footnote-ref-28)
29. المصدر نفسه، ص 83. [↑](#footnote-ref-29)
30. المصدر نفسه، ص 83. [↑](#footnote-ref-30)
31. المصدر نفسه، ص 83. [↑](#footnote-ref-31)
32. المصدر نفسه، ص 83. [↑](#footnote-ref-32)
33. المصدر نفسه، ص 84. [↑](#footnote-ref-33)
34. المصدر نفسه، ص 82. [↑](#footnote-ref-34)
35. المصدر نفسه، ص 79. [↑](#footnote-ref-35)
36. وللمزيد عن صادرات مسقط ووارداتها راجع: كتاب "عرب وهند عهد رسالت مين" للقاضي أطهر المباركفوري، وكتاب "هندوستان عربوں كى نظر مين" للشيخ ضياء الدين الإصلاحي، وكتاب "صناعة المسلمين وتجارتهم" لفون كريمار، وكتاب "ياد أيام" للسيد عبدالحي. [↑](#footnote-ref-36)
37. A Voyage round the World، ص 77. [↑](#footnote-ref-37)
38. المصدر نفسه، ص 76. [↑](#footnote-ref-38)
39. المصدر نفسه، ص 78. [↑](#footnote-ref-39)
40. المصدر نفسه، ص 79. [↑](#footnote-ref-40)
41. المصدر نفسه، ص 82 - 83. [↑](#footnote-ref-41)
42. المصدر نفسه، ص 84. [↑](#footnote-ref-42)
43. المصدر نفسه، ص 84. [↑](#footnote-ref-43)
44. المصدر نفسه، ص 85. [↑](#footnote-ref-44)
45. المصدر نفسه، ص 84. [↑](#footnote-ref-45)
46. المصدر نفسه، ص 78. [↑](#footnote-ref-46)
47. المصدر نفسه، ص 84. [↑](#footnote-ref-47)
48. المصدر نفسه، ص 85. [↑](#footnote-ref-48)
49. المصدر نفسه، ص 79. [↑](#footnote-ref-49)
50. المصدر نفسه، ص 79. [↑](#footnote-ref-50)
51. المصدر نفسه، ص 69. [↑](#footnote-ref-51)
52. المصدر نفسه، ص 79. [↑](#footnote-ref-52)
53. المصدر نفسه، ص 79. [↑](#footnote-ref-53)
54. المصدر نفسه، ص 79. [↑](#footnote-ref-54)
55. المصدر نفسه، ص 80. [↑](#footnote-ref-55)
56. المصدر نفسه، ص 80. [↑](#footnote-ref-56)
57. المصدر نفسه، ص 80. [↑](#footnote-ref-57)
58. المصدر نفسه، ص 85. [↑](#footnote-ref-58)
59. المصدر نفسه، ص 85 - 86. [↑](#footnote-ref-59)
60. المصدر نفسه، ص 84. [↑](#footnote-ref-60)
61. ديوان طرفة بن العبد، ص 224. [↑](#footnote-ref-61)
62. شرح القصائد العشر، ص 151 - 152. [↑](#footnote-ref-62)
63. A Voyage round the World، ص 86. [↑](#footnote-ref-63)
64. وإليكم بعض ما روي في هذا الشأن:

"أخبرنا أبو الحسين بن الفضل، أنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عيسى المستملي، أنا أبو العباس الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة، ثنا محمد بن قبيصة الإسفراييني، ثنا بشر بن المبارك العبدي، قال: ذهبت مع أبي إلى وليمة، فيها غالب القطان، فوضع الخوان، فأمسكوا أيديهم فقال: ما لكم حتى يجيء، فقال غالب: حدثتني كريمة بنت هشام الطائية، عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أكرموا الخبز))، قال: ((ومن كرامته: ألا ينتظر الأدم))؛ (شعب الإيمان للبيهقي، فصل لا يعيب طعامًا قدم إليه، رقم الحديث: 5619.

و"أخبرني أبو يحيى أحمد بن محمد بن القاسم السمرقندي، ثنا أبو عبدالله محمد بن نصر، ثنا محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي، ثنا بشر بن المبارك الراسبي، قال: ذهبت مع جدي في وليمة فيها غالب القطان، قال: فجيء بالخوان فوضع، فمسك القوم أيديهم، فسمعت غالبًا القطان يقول: ما لهم لا يأكلون؟ قالوا: ينتظرون الأدم، فقال غالب: حدثتنا كريمة بنت همام الطائية، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أكرموا الخبز، وإن كرامة الخبز ألا ينتظر به))، فأكله وأكلنا"، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"؛ (المستدرك على الصحيحين للحاكم، باب أكرموا الخبز إلخ، رقم الحديث: 7245. [↑](#footnote-ref-64)
65. A Voyage round the World، ص 72 [↑](#footnote-ref-65)
66. المصدر نفسه، ص 86. [↑](#footnote-ref-66)
67. ديوان امرئ القيس: 153. [↑](#footnote-ref-67)
68. حماسة ابن الشجري: 63. [↑](#footnote-ref-68)
69. المفضليات، رقم: 77. [↑](#footnote-ref-69)
70. A Voyage round the World، ص 85. [↑](#footnote-ref-70)
71. المصدر نفسه، ص 85. [↑](#footnote-ref-71)
72. المصدر نفسه، ص 86 - 87. [↑](#footnote-ref-72)
73. المصدر نفسه، ص 87. [↑](#footnote-ref-73)
74. تفسير تدبر قرآن، 4/529 - 530. [↑](#footnote-ref-74)
75. A Voyage round the World، ص 87. [↑](#footnote-ref-75)
76. A Voyage round the World، ص 87. [↑](#footnote-ref-76)
77. المصدر نفسه، ص 87. [↑](#footnote-ref-77)